مجلة العلوم الاجتماعية
المجلد 15 / العـدد 02 / سبتمبر2021 / ص ص 114 - 128
Journal home page: http://journals.lagh-univ.dz/index.php/ssj
ASJP: https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/305

محاذير من مخاطر الافراط في استعمال المعلوماتية، ومشروعية الرقابة والوقاية المعطى التربوي والاعلامي نموذجا

Caveats from the dangers of excessive use of information, and the legitimacy of censorship and prevention given the educational and media as a model

مصطفى هادف [1] ، العربي فرحاتي [2]
1 جامعة باتنة 1 (الجزائر) ، ferhatihichem@gmail.com
2 جامعة باتنة 1 (الجزائر) ، flarbi1956@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/03/18 تاريخ القبول: 2021/05/09 تاريخ النشر: 2021/09/30

ملخص:
برز الاهتمام بالمعلوماتية في مجال الاتصال، بشكل ملفت للانتباه في أواخر القرن العشرين، وازداد بوتيرة سريعة تدفع المؤسسات الاعلامية والأنظمة التربوية إلى التسابق في استيعاب تطورات التكنولوجيا، وتوظيف المعلوماتية في جميع مجالات الحياة المؤسسية، من أجل رفع الأداء الاتصالي بصفة عامة ومستوى الاتصال البيداغوجي في التعليم بصفة خاصة، من مستوى تحقيق الحاجات، إلى مستوى تحقيق المتعة في إشباع الحاجات التعليمية، وإلى مستوى تهيئة المؤسسات التربوية والتعليمية والاعلامية لما يعتقد أنها تحديات العولمة المحتومة، لاستيعاب مقتضيات مجتمعات المعرفة، وهي مجتمعات ما بعد الصناعة، تكون.كما يفترض.قد بدأت منذ زمن في تكوين وانشاء الجماعات والمؤسسات الافتراضية . وعلى الرغم من إجماع الكل بأن تكنولوجيا المعلومات توفر للمؤسسات والافراد في الاتصال التربوي والاعلامي والاجتماعي ارقى صيغ التواصل والتفاعل، وعلى الرغم من اجماع المتخصصين بضرورة مواكبة المؤسسات للتطورات التكنولوجية وإكساب الأجيال خبرة المستقبل، إلا أن بعض الدراسات رصدت بعض السلبيات في حالة إفراط الاستعمال لتكنولوجيا المعلومات، تمس إنسانية الإنسان وذكاءه وأخلاقه ومركزيته في الوجود وتحكمه في التقنية ذاتها. كما تمس المجتمعات.في حالة الإفراط في الإدماج الدولي السوقي. في ثقافتها وهويتها، ومن ثمة تأتي هذه المقالة العلمية لتبرز :

1. أهمية المعلوماتية في الاتصال الانساني عموما والاتصال البيداغوجي في التربية (التدريس) خصوصا .
2. التنبيه إلى المحاذير التي يطلقها الباحثون من فرط الاستعمال والتركيز على المتعة الناتجة عن الرغبة.
3. مشروعية الرقابة والوقاية من الاضرار المحتملة من فرط الاستعمال الالكتروني في التواصل.

كلمات مفتاحية: المعلوماتية، محاذير ، الرقابة، الآلات الذكية ، مخاطر.

ABSTRACT:
Interest in informatics in the field of communication emerged, remarkably, in the late twentieth century, and increased at a rapid pace that pushes media institutions and educational systems to race in absorbing technological developments, and employing informatics in all areas of institutional life, in order to raise communication performance in general and the level of pedagogical communication in education. In particular, from the level of fulfillment of needs, to the level of achieving pleasure in satisfying educational needs, and to the level of preparing educational, educational and media institutions for what is believed to be the inevitable challenges of globalization, to accommodate the requirements of knowledge societies, which are post-industrial societies, which, as it is supposed, have begun since A time in the formation and creation of virtual groups and institutions. Despite the consensus of all that information technology provides institutions and individuals in educational, media and social communication with the finest forms of communication and interaction, and despite the consensus of specialists that institutions should keep pace with technological developments and provide generations with future experience, some studies have identified some negatives in the case of excessive use of information technology. It touches the humanity, intelligence, morals, centrality of existence and control over technology itself. It also affects

- المؤلف المرسل: العربي فرحاتي

ISSN: 1112 - 6752 | رقم الإيداع القانوني: 66 - 2006 | EISSN: 2602 - 6090

societies - in the case of excessive international integration of the market - in their culture and identity, and hence this scientific article comes to highlight:

1 The importance of informatics in human communication in general and pedagogical communication in education (teaching) in particular.

2 Alert to the warnings issued by researchers from excessive use and focus on pleasure resulting from desire.

3 The legality of control and prevention of potential harm from excessive use of electronic communication.

Keywords: Informatics, warnings, control, smart machines, risks

1- مقدمة:

بعد التأكد من إجابياتها، لم يبق أحد يشك في أهمية إستخدام وتوظيف المعلوماتية في جميع مجالات الاتصال الانساني في التربية والاعلام والاقتصاد والاجتماع والاسرة، حيث أصبحت حاجة لا غنى عنها للانسان في ترقية علاقاته مع نظيره الإنسان، ولا غنى عنها للدولة في تلبية حاجات المواطن، وترقية آداء المؤسسات بصفة عامة، والمؤسسات التعليمية بصفة خاصة . ولعل أبرز ما توفره المعلوماتية في مجال الاتصال، تمكين إنسان حضارة اليوم من تجاوز كثير من إكراهات الزمان والمكان، وما أحدثته من عوالم افتراضية، مكنت الفرد والجماعة والمؤسسة، من التقارب والتفاعل وتبادل الخبرات والمعلومات والمنافع والمصالح عن بعد، بشكل لم يبق له مثيل في التاريخ . وتعد اليوم من أبرز الأدوات التي ساعدت الانسان في مضاعفة جهد ذكائه، كما ضافع من قبل جعده العضلي بالرافعات، بل تعتبر في حد ذاتها ذكاء اصطناعيا ينافس ذكاء البشر في البحث وحل المشكلات . وبالتالي أصبحت . كحاجة .أكثر من ضرورة حتمية، لا يمكن تجاوزها والاستغناء عنها أو مقاومتها، وكل تخلف عن مواكبة تطوراتها يعد تخلفا حضاريا، له عواقبه الوخيمة . ولما كانت بهذه الحتمية زمن العولمة، يتعين على كل المؤسسات العمل بجدية لاستدماجها كآلات وبرامج ذكية، في كل مناشط الحياة، في الأسرة والتعليم والتكوين والاقتصاد والادارة...الخ غير أن عملية استعارة وإدماج المعلوماتية في مؤسساتنا وتعميمها باعتبارها آلات وبرامج ذكية، يتطلب .كما تطلب تعميمها في بيئتها . دراسة علمية معمقة على مستوى تحديد حاجاتنا إليها بدقة، ودراسة لآثارها السلبية على الإنسان كما رصدتها الدراسات المتخصصة، سيما على ذكاء الإنسان وصحته وضرورة وقايته من سلبيات الكهرومغناطيسية على الجسم وحواسه، وكذا آثارها على نظامنا القيمي، وعلى مستوى كيفية التعاطي معها وتحويل الفرد إلى كائن سوقي معولم، تتقاذفه التجاذبات المعلوماتية وتهدد هويته. إذ أننا نرى أن ما كشفته الدراسات المعمقة من أضرار على الانسان خطيرة على انسانيته وفرديته جراء الافراط في الاستخدام، وما لا حظناه من غياب مثل هذه الدراسات في مؤسساتنا وجامعاتنا ومخابرنا من جهة، والهرولة للاستدماج العشوائي والاقبال المنقطع النظير على استخدامها وتوظيفها من جعة أخرى، هو الداعي والمحفز لنا للتنبيه إلى أهمية وضرورة رقابة الاستخدام والوقاية من الاضرارومشروعيتهما، في وضعنا الحضاري ووضعيتنا السوسيولوجية والسيكولوجية، وهو ما بحثناه في هذه المقالة العلمية إلى تحديد أهداف البحث ومنهجيته.

2- حول مفهوم المعلوماتية:

المعلوماتية مفهوم مثقلا بحمولة كبيرة من الدلالات، فهو مكثف في وجوده وماهيته، ولا يطلق على وسائل وأجهزة إلكترونية اتصالية، فهو يتعلق بكل حيثيات التواصل الإعلامي والبيداغوجي والاجتماعي والوجداني، مما جعله موزعا بين عدة حقول معرفية، ويتضمن عدة دلالات، ويحيل على وضعيات ومتعددة كالوضعية البيداغوجية والإخبارية الإعلامية والاجتماعية والواقعية والافتراضية ...الخ .

ففي القاموس اللغوي الفرنسي يتمركز حول المعالجة الآلية للمعلومات (Informatique) وتستعمل في الجزائر لتعني (إعلام آلي) وهذه المفاهيم والتسميات تتضمن دلالة مشتركة تتعلق بما تقوم به أجهزة الحاسوب بكل ما يتعلق بالمعالجة الإلكترونية للمعلومات . ويشير من جهة أخرى إلى نظم المعلومات وعلوم الحاسوب التطبيقية يهتم بدراسة عمليات الاتصال

وتطوير أساليب تنظيم وتخزين ومعالجة ونشر المعلومات العلمية والصناعية والخدماتية وغيرها، وهو بذلك يحيل في دلالاته على المعرفة بالعتاد والبرمجة والاتصالات وتطوراتها في الإنتاج والاستخدام والمعالجة والإدارة .(رحومة، 2005 ، صص 58 . 59) ومن ثمة فهو مفهوم يؤسس لثقافة جديدة تتسم بالبعد المهاري في سلوك الإنسان وبرمجته لوجوده المعرفي، والمعرفة الإلكترونية بأدواتها، كالحاسوب بأنواعه وتطوراته، ونظم البرمجة وتقنياتها، والمعالجة الإلكترونية للمعلومات وطرقها، وأنظمة الاتصال وكيفيات التواصل، وبحث منافعها وآثارها النفسية والمجتمعية .

وتعد من المنظور التطوري الحضاري بمثابة فعل التجدد الذاتي للحداثة تميزت بدمج لامتناهي لتكنولوجيا المعلومات، بتكنولوجيا الاتصال، فهي تكنولوجية جديدة بامتياز من إبداع الذكاء الانساني للذكاء الاصطناعي، وتداعيات تفيد ثورة ما فوق التصنيع والتراكم المعرفي الموجه نحو التحكم التقني الدقيق في البيئة الفيزيقية والاجتماعية، أي ما يسمى بالثورة السيبرنيطيقية تحرر الإنسان من إكراهات الزمان والمكان، (عصار،1985 ص 51)

ومن حيث أن المعلوماتية مفهوم وظيفي يرتبط بعلة الاستخدام المكثف للآلات الإلكترونية، فهو يندرج ضمن مساعدة الإنسان على توسيع مداركه وقدراته ومعالجته للمثيرات المعرفية، مثله في ذلك مثل استعمال الإنسان للنظارة لتوسيع قدرات بصره، واستعماله الآلة لمضاعفة جهوده العضلية، واستعماله السماعة لمضاعفة قدرة السمع لديه، واستعماله الكتاب والقراءة لتوسيع مفاهيمه ...الخ فكذلك الآن يستعمل الكومبيوتر لتوسيع قدرته في معالجته للمعلومات، ومن ثمة فهو مصطلح من الناحية الوظيفية يتطور ويكتسب دلالات مستمرة، ويشير عموما في كل سيروراته إلى ما تهبه تكنولوجيا المعلومات للإنسان من حرية وتحرر، من خلال إكسابه آليات التحكم التقني في مجال المعلوماتية

2-1- المفهوم التربوي للمعلوماتية:

ومفهوم المعلوماتية في التربية والبيداغوجيا، ليس مجرد وسائط تكنولوجية تدرج من بين الوسائط والأدوات التي يستعملها المعلم أثناء التدريس خاصة بتعلم مهارة أو توضيح فكرة أو عرض تجربة أو مجسم .ولا هي مجرد آلة مكثفة في وظائفها البيداغوجية ودمج آلي لعدد من الوسائط في جهاز واحد ، كالجمع بين الوسائل السمعية البصرية، لفظية وغير لفظية متحركة وساكنة رمزية تجريدية وواقعية، أوهي مجرد تغيير شكلي للوضعيات التعلمية وإدماج صيغ التعلم الذاتي في العملية التعليمية، فهي قبل ذلك تغيير أساسي في نمط الحياة وأولوياتها في زمن العولمة . فما هي هذه الأنماط والمعاني الحياتية في زمن العولمة ؟.

يؤرخ للعولمة من الناحية السياسية الإجرائية، بنهاية الحرب الباردة.وتطور في سياق ثقافي علماني، ليصبح خطاب الانفتاح الكلي على الانتماء العالمي يتخطى كل الحدود، ويستهدف كما هو معلن تحقيق التقارب الكوني بين الأنا والآخر والتمركز حول نمط واحد من الثقافة، حتى تتماثل طرق العمل والتفكير بين بني الإنسان؛ بل تتماثل الحاجات والرغبات وطرق الإشباع، ومن ثمة تتماثل طرق مواجهة المشكلات، والتخلص من التعصب الثقافي . وهي بهذا المفهوم يفترض أن تكون ذات مضمون تعددي وتنوعي، في نطاق وحدة الباراديجم الحياتي المعولم إن صح التعبير ، إلا أن صياغتها في ضوء حديث النهايات والانتصار الأبدي للقيم الرأسمالية اللبرالية، جعلها خطابا أوحادا مهيمنا شموليا، يلغي وينفي الآخر، بما يفرض علي الجميع من حتميات الدمج في الصيغ المعولمة يفقد فيها الكثير حرية الاختيار بفعل سيطرة الثقافة المنتصرة،

ومن ثمة فهي خطاب ضد كل ما يعتقد خصوصية فردية أو اجتماعية أو انغلاق بكل صوره وأنساقه بالمعايير الثقافة اللبرالية المنتصرة، مما أعطى معنى آخر للحياة والعلاقات تتمركز في أحسن حالاتها خضوع غير الخبير للخبير دوما .

وبهذا المعنى للعولمة تربويا وإعلاميا واجتماعيا تصبح التربية مفهوما لا نراه إلا ضمن أهداف العولمة المسكوت عنها والمتعلقة بعزل التلميذ والفرد عموما معرفيا عن محيطه الاجتماعي والثقافي، ودمجه في العوالم الافتراضية التي يوفرها الحضور الكلي

الشمولي لتكنولوجيا المعلومات في عملية التعليم والتعلم، حصول المتعة واللذة الفردية .وانحصرت الاهداف السامية للتربية إلى حدها الأدنى كهدف المواطن الصالح، من حيث هي إدماج مؤسسي وانتماء اجتماعي وتشكيل للهوية، أو الإنسان الصالح، من حيث هي إنماء للقيم الإنسانية أو الفردية وتحقيق للذات كما تعلمناه من علم النفس؛ أو حب الوطن والرموز الوطنية والتاريخ، وصارت التربية النظامية المؤسسية كما لو انها معنى يرتبط بتسويق الذات في السوق العالمية، أو ما يعتبره" لويس دومون" بالفردانية الخارجة عن العالم، ولكنه يجرى ذلك داخل العالم, وهي صيغة تعبر عن المجتمع الكلي المؤلف من بشر يعيشون بأحاسيس فردية (دومون، 2006، ص 24)

ونخلص إلى أن المعلوماتية في التربية والتنشئة، تعني تمكين التلميذ والطالب الجامعي والفرد المواطن من عولمة ذاته في شكل الهوية الافتراضية، وما يمكنه من التذاوت والانتقال في العضوية، من هوية إلى أخرى، في نطاق المجتمع الافتراضي الإنساني، وهو المعنى الذي أراده فلاسفة المابعد، وبه تصبح المعلوماتية ذات أهمية خاصة ومخاطر جمة .

ومن الناحية البيداغوجية الإجرائية تعد المعلوماتية في التربية، تدريب التلميذ والطالب الجامعي، كيف يعهد بجزء غير يسير من نشاطه الذهني الهادف للتعلم والاكتساب إلى الآلة، حيث أن كل ما يجب أن يتعلمه التلميذ بشكل فيزيقي من معالجة المعلومات، وحل المسائل وحفظ القواعد، وممارسة الحوار والنمذجة والرسم والكتابة، يوكلها كأفعال للآلة (بتروفيتش، 1987 ، ص 632) ولا شك أن في ذلك قيمة إيجابية تتعلق بتمدد قدرات الإنسان العقلية، كما أسلفنا، وفي الوقت نفسه تستبطن آثارا سلبية تتعلق بمضاعفة الاسترخاء العقلي.

2-2- في عمومية أهمية المعلوماتية:

لا أعتقد أنه بقي من يشكك أو حتى يناقش أهمية التكنولوجيا من الناحية النفعية الحياتية الفردية الخالصة، بعد أن تكشفت نتائجها على مستوى الاتصال والإعلام والتربية والإدارة والصناعة والتجارة وما إلى ذلك؛ إذ أصبحت من مستلزمات التكيف والاندماج المهني والاجتماعي من أساسيات ما يسمى بتكوين وإنماء الضمير الكوني العولمي . وكلما استغنى الإنسان عن استخدام التكنولوجيات واستبعدها لسبب من الأسباب في أدائه، كلما وصف عمله بالعمل التقليدي المغلق والمنغلق؛ فصارت التكنولوجيا مفردة من مفردات أيديولوجيا التقدم . وفوق ذلك وبحسب الباحث"لاش" فإننا نعيش الحتمية المعلوماتية، (رحومة، 2005 ، ص92) . وأن نظرية المعلوماتية أخذت تبلور مجتمع المعلومات الذي ينتقل من النظام إلى اللانظام ثم إلى النظام مرة أخرى، ومن العقلانية إلى اللاعقلانية ثم إلى العقلانية الفائقة .وهو الأمر الذي يحتم التكيف معه.

2-3- أهميتها في تحرر الذات من الهويات المغلقة:

ثبت لفلاسفة المابعد، أن المصالح الفردية والجماعية متعددة ومتنوعة ومتنافرة أحيانا، مما جعل من الواقع متعددا ومتنافرا أحيانا، ومتكاملا ومنسجما أحيانا، وهو ما جعل الصيغ الكليانية تفشل في الاحتواء بوسائلها العلمية والقانونية والأيديولوجية، وجعل من الضروري الخروج عن انغلاق الأنا الفردية والـ" نحن " الجماعية، إلى التعالق الوجداني بين الذات والآخر في الصيغ الحياتية الأكثر تحررا، وهي الصيغ التي توفرها الآلة الذكية، كصيغ التعليم المفردن والمواطن الصحفي، بمعنى أنها تحرر الإنسان من الانغلاق في الذات أو النحن دون الاستغناء عن تحقيق الذات عبر التواصل مع الآخر، (موريس،1995 ، ص31). والتقنية الإلكترونية الحديثة توفر للإنسان . معلما أو تلميذا أو صحفيا حرية الاختيار من عدة بدائل، فتمكنه . إضافة إلى النشر . من استقبال الرسائل المرغوب فيها، ورفض غير المرغوب منها، وتمكنه من الدخول إلى عوالم افتراضية، واختيار منها ما يفيده ويبعد منها ما يضره

وبعد بيان هذه الأهمية، فإنه يتعين علينا أن نسارع للاستفادة من المعلوماتية كمعرفة العصر وعلينا أن تبدأ بتشخيص حاجتنا كأفراد إلى التواصل واكتساب المعلومة بحرية، وحاجة تعليمنا وأوضاعنا إلى التطور المعرفي التكنولوجي العالمي، ونطرح الاسئلة الجوهرية من مثل كما بينه نبيل علي (نبيل علي، 1990، صص 272 .283) هل نحن في مجتمع ما قبل الصناعي؟ حيث سيادة مدارس الوعظ والفضيلة، أم هل أننا في المجتمع الصناعي؟ حيث سيادة مدارس المصانع، أم هل أننا نملك ما يمكننا من التأهب لمجتمع المعرفة؟ حيث مدارس التعلم والعوالم المتعددة، ؟ وفي كل ذلك يجب علينا بحث سبل المواكبة والتكيف مع مستجدات تكنولوجيا المعلومات والمعرفة التربوية،

ولكن هل بهذه الأهمية التي عليها تكنولوجيا المعلومات تفلت من الرقابة وشرط الشرعية والمشروعية، ونكون بعدئذ متلقين منفعلين بدون حصانة ووقاية ذاتية، ولا خوف علينا؟ ذلك هو المدخل لبحث مشروعية الرقابة أو الوقاية للمعلوماتية . ونؤسسها أولا على محاذير الأنسنة

3- محاذير الأنسنة من الآلات الذكية:

بداية يجب استحضار القارئ من أننا إذا انتقدنا التقنية المعلوماتية وما يسوق في عقولنا لكل ما هو غربي، فليس ذلك من باب رفض الآخر ، وإنما من باب المعرفة (من تعلم لغة قوم أمن مكرهم) أي أننا نريد أن نعرفه أكثر، ونستفيد من معارفه بدون أذى، لأن هناك مساحات رمادية شاسعة في ما ينتجه ويسوقه فينا . فقبل تحذيرنا كان تحذير الوجوديين من انزلاق الإنسان في تعاطيه غير المدروس مع الآلة، فيهبط إلى مرتبة الوجود داخل العالم، وتخليه قسرا عن مرتبته الوجودية في العالم المتعالي عن الأشياء، فيضر ذلك بإنسانيته، ويعود وجوده مجرد عبد مطيع للآلة التي أوجدها .(نجم الحلبوسي، 2002 ، صص 85 .86) .

ومن المفيد أن نذكر بأن العلم التطبيقي التكنولوجي على الأخص، قد لا تعد منافعه المحققة للإنسان ولا تحصى، كما أن مشكلات تكنولوجيا سابقة، تجد إجابات لها في تكنولوجيا لا حقة، فإن ذلك كله لم يمنع علماء الأنسنة من التنبيه لما لا حظوه ، من أضرار تصيب الإنسان في الوضع التكنولوجي، قد تفوق منافعها، وما نبه إليه هؤلاء العلماء من مخاطر قد حدث في معظمه ولا أدل على ذلك مما نعيشه الآن من آثار ضارة ناتجة عن ثقب الأوزون نتيجة تلوث البيئة، والسيارة مثلا هي قيمة إيجابية للإنسان نفعها لا يحصى، إلا أن أضرارها قد تفوق منافعها وهكذا مع كل آلة تخترع مما يستدعي التحذير.

والمحاذير التي نوليها اهتمام في هذا المقام تتعلق بالانهيارات التي تصيب كيان الإنسان في عمق إنسانيته، تستوجب استماع السياسيين والتربويين والاعلاميين، وهي لا تقل شأنا عن المحاذير التي يطلقها علماء البيئة. ومن ثمة فإنه من الطبيعي جدا أن يصاحب كل اختراع . تقريبا . تخوف الإنسان من آثاره السلبية المحتملة أو المتخيلة على ذاتيته كإنسان، وتغير محيطه وصعوبة التكيف بعدئذ، (عاطف، 2006 ، ص 59) فقد كان لظهور الطباعة أثر في تعزيز الفرديته، في حين أن الانترنت اليوم تعزز الوجود الافتراضي للجماعات والمؤسسات الافتراضية . وهو ما يستدعي الدراسة.(رحومة، 2005 ، ص221) فإذا كان ينظر إلى استعمال المعلوماتية في التربية مثلا من حيث هو إجراء يعزز أكثر فردانية التعليم، فإنه أيضا ينظر إليه من جهة أخرى تحقيق لأمنية " الميتون للمعلم" من حيث هو في عرفهم "سمسار المعرفة" أو بالأحرى إماتتة للمجتمع والاتصال الإنساني الفيزيقي وتصحرالعلاقات الاجتماعية ، وهو مدعاة للتساؤل والحذر

ومن المفيد في هذا المقام أن نستحضر ما ذهب إليه "مكلوهان " في كتابه " مجرة كوتنبورغ " من أن أي اختراع تكنولوجي أداتي، إنما هو يمدد بطريقة أو بأخرى نطاق الجسم والفعل، فوسائل الاتصال إنما هي تمديد للحواس، والشبكة الإلكترونية إنما هي امتداد للجملة العصبية المركزية، فالتمدد كمضاعفة الجهد، وإن هي ميزات وإيجابيات، إلا أنها تنطوي على عواقب، حيث يعتقد أن لكل امتداد يحصل تقليص أو بتر لثقافة الطبيعة البشرية (الأنسنة) أي ما يصطلح عليه بـ "مبتورات أو مهجورات

الإنترنت" تؤدي بالإنسان إلى الانعزال، أو الاضطراب النفسي الاجتماعي (رحومة، 2005 ،صص 219 . 223) والفصل الدراسي إن هو إلا امتداد للفصل التقليدي بكل حيثياته ومضاعفة للجهد التربوي، قد ينتج عنه هجرة للثقافة الإنسانية الطبيعية (رحومة، 2005 ،ص194) . ، وكل ذلك يستدعي ويشرع لطرح الأسئلة ماذا يتمدد، وماذا يهجر ويبرز، وماذا يسترجع ... الخ .

ومن هذه المعالم التحذيرية للأنسنة يمكن أن نشخص مخاطر المعلوماتية في حالة الإفراط في الاستعمال غير المنهجي وغير الصحي على إنسانية الإنسان في جوانب عدة أهمها نورده في ما يلي :.

3-1- مخاطر التقنية على الإنسان:

3-1-1- المخاطر الصحية:

إذا كانت تكنولوجيا الصناعة أسهمت في إفراز نماذج حياتية، اقتضت من الإنسان التكيف والملاءمة مع الآلة وتداعياتها، وحذرت من مخاطرها على الجسد والنفس، فكانت الأرغونوميا تبحث وضعيات تطويع الآلة مع مقتضيات الإنسان كعامل، فإن المعلوماتية من حيث هي آخذة في إفراز أنماط حياتية يطلق عليها مجتمعات المعرفة أو المعلومات أو التعلم(نبيل علي ،1990، ص22) فإنها تقتضي التفكير في إنتاج أرغونوميا خاصة، ليس فقط من أجل التكيف الجسدي والسلوكي للإنسان، بل من أجل انتاج معرفة لا تحمي فقط مما يمكن أن يتعرض له الجسد المرمي تحت تاثير الكهرومغاطيسية وأمراضها المحتملة، (اليوسف، 2006 ، صص 77 . 79) بل بالتكيف الوجداني والمعرفي، وتطويع ما أنتجه المرسل بوصفه آلة ذكية من معرفة وأدوات وفق المعطيات الوجدانية للمتلقي"الإنسان" في عدة مجالات (اللغوي والميتالغوي والمعرفي والميتا معرفي أو ما يسمى بتفكير التفكير).

3-1-2- مخاطر على ثوابت الإنسان في التفرد

مع انتشار استعمال المعلوماتية ظهرت مخاطر جديدة آخذة في التحدي للإنسان، تتعلق بما يعرف عند نبيل علي بـ "الانسالي " حيث يجري الحديث عن دمج الدوائر الكهربائية والذات الإنسانية، أي دمج الحاسوب في الجسم البشري وزراعته كقطع في مختلف أنحاء الجسم، بل حتى على مستوى الخلايا والدماغ، لتؤدي وظائف معلوماتية، كالنظارات الذكية، وسماعات في خلايا، وأجهزة التنبيه ولتقاط والعرض في القدمين والركبتين والعينين، وزراعة رقائق تحت الجلد تراقب التغيرات الفيزيلوجية والاستجابة لها بدون تدخل الانسان...الخ . ومن الطبيعي إذا حصل ما تقدم فإن ملامح فردية الإنسان وإنسانية الإنسان تتغير باتجاه القضاء على النوع البشري وإنتاج نوع (الإنسان / الآلة) . (اليوسف، 2006 ،صص،114 . 118) .

3-1-3- مخاطر فقدان التوازن:

يتعرض الإنسان في مسيرة تحقيق المزيد من السعادة في الحضارة المعاصرة إلى آثار سلبية عرضية، تطال توازنه النفسي والجسمي؛ فإضافة إلى ما اكتشفه العلماء من اختلالات بين الوعي واللاوعي نتيجة ما تخزنه العصبونات من تناقضات تسبب إخفاقات وآلام نفسية .(اليوسف، 2006 ، ص120) فإن الاستعمالات المكثفة للوسائل السمعية البصرية، قد يؤدي إلى ما أسموه المفكرون إلى "الفرد المفصوم" وتتجلى صورته في جسد الإنسان المقسم وظيفيا إلى أجزاء وقطع، كل قطعة تعمل كما لو أنها وحدة، وهو ما لوحظ في ما تحدثه المثيرات الحضارية، من إكراهات تشغيل العين منفصلة عن الأذن مثلا، فكثيرا ما يرغم الإنسان على الاشتغال البصري على الشاشة، والاستماع للراديو في نفس الآن، (اليوسف، 2006 ، ص100) . وهو ما يؤدي إلى الاجهاد وصعوبة تناغم الحواس مع العقل الإجمالي في تكوين المعرفة،

وبتلك المخاطر نكون نحن بني الإنسان في وضعية التفاعل مع الآلة، كما لو أننا .كما يصفنا "أيمن عيوش " .كائنات نسير نحو ترويض أنفسنا وفق معطيات شاشة الحاسوب، ونعتقد بذلك أننا نكسب الحرية، إلا أننا نفقد الكثير من الإرادة. (اليوسف، 2006 ، ص121) .

ومن ثمة فإن هذه المخاطر الناتجة عن ربونة الانسان تحذرنا أن الاستسلام لمقولة الحتمية التكنولوجية والخضوع لها، ينتج عنه لا محالة تعميق وإمعان تبعية الإنسان للآلة واستمرار تحكمها في وضعياته الحياتية، .(رينيه دوبو .1984، ص 43) .

3-2- مخاطر عولمة المكان بيداغوجيا :

إن ما يروج له كمزايا بشأن تفجير أطر الزمان والمكان من حيث هي إكراهات، وتحقيق ما يسمى بالقرية الكونية، وإن هي كذلك، إلا أنها تنطوي على مخاطرة ليست هينة، ولا هي مستعصية الإدراك، ونرصدها في تهديد سلامة المجال كانتماء نفسي ومحضن اجتماعي، قبل أن يكون مجرد بيئة إيكولوجية، ونعتقد أن خطأ الحداثيين بوعي أو بغير وعي في تحديث المجال وإنتاج (أزمة هوية المدن والقرى والحي ...الخ) بالقضاء على خصوصياتها البنيوية والوظيفية في التواصل الاجتماعي، فضلا عن القضاء على كل ما يولدانه من مشاعر وجدانية تلصق الفرد بالمكان، حيث أنه لا ينمو التعالق الفردي والاجتماعي، إلا في مجال يحتضن قيمها، باعتبارها في عرف الاجتماعيين، محددات للسلوك، يتكرر الآن بعولمة المجال لإنتاج الأنفس المعولمة، وما يجري الآن من عولمة المجال، يبطن تفكيكا للروابط الاجتماعية والدولة وإضعافها لصالح العولمة،. وعليه فتكوين الذات العلمية التكنولوجية بالوافد، دونه مخاطر تهدد الذات الأيكيولوجية، من حيث هي محضن اجتماعي ونفسي، يصعب تجاوزه في تربية الانتماء. فتفجير الأطر الاجتماعية هدف استراتيجي في منظومة التربية المعولمة من حيث أنها عوائق سوسيولوجية مؤسسية تنتج عوائق ابستمولوجية بعولمة الفكر والوجدان والحس الفيزيقي، وبالتالي ضعف المواطنة والوطنية. إذ أن المجال من حيث هو مكان للعيش وممارسة الحياة ورابط فيزيائي ، هو المجال الحيوي الذي تنمو فيه وتتشكل هويته وفق الاتصال والانفصال عن الهويات الأخرى، ومن ثمة فهو جدير بالاحترام ، فالجغرافيا حاضرة بكل ثقلها في شحنة الانتماء، والعلاقات، والتواصل، فالتفريط في المجال الحيوي يعني التفريط في الخبرة المباشرة الطبيعية، والتفريط في تعلم المسافة الاجتماعية، والمسافة النفسية والمسافات الزمنية، ومفهوم التوطين؛ أي نفقد المعرفة بعلاقة الإنسان بالمجال، وهي علاقة تتضمن ثلاثة أزمنة (الزمن الجغرافي، الزمن الاجتماعي، والزمن الفردي،.(الخصاضي، 2001 ، صص 60 .61).

3-3- مخاطر تربوية بفقدان التفاعل مع المحيط:

المعنى الإيجابي الذي استخلصناه للتربية المعولمة والمتعلق بما يسمى بتكوين الضمير العالمي عبر العوالم الافتراضية، ما فتئ يصطدم بما يعتبره " شونفلونج " بالعدة الوراثية التي نتجاهلها في إجراءات المواكبة العالمية، حيث يعتقد أن الإدراك الحسي للأفراد، وتشكل المدركات البيئية، تتطور مع التفاعل بالمحيط البيئي والاجتماعي، مما يكسبها هوية الجغرافية لا يمكن تجاهلها، ولا تسمح بالاستجابة دائما خارج موطنها الأصلي؛ ولأجل ذلك .يجب أن تهتم التربية بالتدريب على التجريد المعرفي، وهو ما يتعارض مبدئيا لعدة الإنسان الحسية والوراثية الخاضعة بالضرورة للبيئة المحلية اللصيقة بمدركاته (شونفلونج،1997، صص130.126).وهذا المعطى المعرفي كاف لضرورة إدراج التفكير الآجل ضمن العاجل من الأعمال، من أجل استحداث تغيير أساسي في نمط التربية ليس فقط بامتلاك الكومبيوتر التعليمي، أو بتعلم الولوج في العوالم الافتراضية والأنترنت، بل باستحداث نمط التعليم المتجاوز لنقائص الإدراك الحسي، على تربية القدرة على التفكير التأملي والتدبري والتجريد المعرفي العقلي، حتى تتموضع الذات في مسافة بين وصلها بمحيطها، وتواصلها بالمحيط العالمي، وفق دوائر المحيط المتدرجة نحو إنتاج الهوية العالمية الافتراضية في الذات . وعندها فقط يمكن الحصول على قدرات تساير مشكلات التنمية في المجتمع العالمي المعرفي المنشود بغير ما زهد في الذات.

3-4- مخاطر تهدد التفاعل الإنساني المباشر:

ومما أفادته الدراسات المتعددة، أن الإدمان على التكنولوجيا المعلوماتية يحجب الكثير من التفاعل الإنساني المباشر في مجال الاتصال المؤسساتي حتى ولو نرى بعض الصيغ التي تجمع فرق من التلاميذ أو الأسرة أو في المصنع حول الكومبيوتر يعملون

مشدودين إلى الكومبيوتر، وليس إلى بعضهم البعض، فالاتصال في مثل هذه الحالة، يجري في نطاق العلاقات الفردية ومحتوياتها النفسية، التي تستجيب لأنماط الحياة الفردية، كالاتصال الذي توفره الأنترنت فهي صورة أخرى مبتدعة من الفردية الفقيرة في محتواها الاجتماعي .

فالكوممبيوتر يعزز وينمي علاقات جديدة، تتعلق بالعفوي الآني على حساب الفكري المتأني العقلاني، والفردي على الجماعي، وسيادة الحاضر على الماضي . وبالتالي فإن ما يعتقد أن التعامل مع الكومبيوتر، يؤدي إلى تحرير الأنا والفردية من انساقها الطوباوية هو صحيح؛ إلا أنه كثيرا ما يصبح مجرد تعويض لأوامر النص والمعلم، بأوامر وتعاليم الكومبيوتر. وهو ما يشكل إزاحة لأهم عناصر الشخصية الجماعية، من حيث هي ليست مجرد حاصل مجموع الأفراد، بقدر ما هي علاقات وتفاعلات ومواقف جماعية، ومن الطبيعي بعد هذه المخاوف والمحاذير والتساؤلات، أن نتوجس خيفة من التكنلجة والربونة والحوسبة، ويحق لنا أن نفكر في ما يحمي إنسانيتنا

4- مشروعية الرقابة (الوقاية):

إن الانطباع الإيجابي السائد حول التقنية المعلوماتية واستخدامها لصالح الإنسان وتقدمه، تكاد تنشئ عوائق إبستمولوجية تمنع طرح أية تساؤلات تتعلق بجدوى استخدامها، ولذلك يحتاج طرح هذه الأسئلة إلى شجاعة وحمولة من المبررات الوجيهة لدى المتخصصين، وهو ما لمسناه عند بعض المتخصصين فرغم زخم الإيجابيات وازدحامها، لم يمنعهم كشف مخاطر الآلات الذكية ولم يترددوا في تسمية العصر بعصر القلق أو . برعب الآلة، (التكنوفوبيا) ونشير إلى بعض هذه المخاطر الاجتماعية في ما يلي .

- 1 . انتشار وتلقي المعلومات الوضيعية غير المعيارية (اللاعلمية واللاقيمية) في غياب النواظم الاجتماعية، يمكن أن تشوه معرفة الأجيال وتنبت التناقضات الأخلاقية، كما تبعث الأفراد من حيث لا يدرون، إلى اللهث وراء المعلومات الغزيرة، ولا يستطيعون استيعابها في سياقاتها، والنتيجة الحتمية لذلك أن يفقد الأفراد توازنهم المعرفي، وتفقد الحكومات والدول قيادة شعوبها المفككة معرفيا (كين سبنسر،2002 ، ص ص 97 . 98)
- 2 . تساؤلات حول قدرة الآلات الذكية، كطرف تفاعلي تواصلي، على تأمين سلامة نمو الطفل التلميذ والطالب والفرد كذوات علائقية فاعلة، فكما تشير دراسات أن الانجذاب القوي للأطفال وحتى الراشدين، يصيب الشخصية بالانطوائية والانعزال عن المجال، والتصحر الشديد في العلاقات الاجتماعية. ووجد أن الإدمان على الاستعمال التكنولوجي في تعلم المعرفة يولد لدى الأطفال حالة الاسترخاء أو الكسل العقلي، حيث لا يبذلون أي جهد في إنجاز ابسط العمليات الحسابية، والاعتماد الكلي على الحاسوب جعلهم غير قادرين على إنجاز أساسيات المعرفة الرياضية، فلا يستطيعون مواجهة المشكلات المعرفية بدونها.
- 3 . ينبه الباحثون باستمرار ومن بينهم " تيبور" إلى أن إيجابيات الحاسوب يجب اللاتحيلنا على وهم، أن تعلم الحاسوب نهاية لكل المشكلات الاجتماعية المعاصرة ، فيجب اللا تحجب عنا أن الثقافة الإلكترونية والمعلوماتية تنطوي على خطورة تكوين المجتمع التكنولوجي والتعليم التكنوقراطي، حيث تتراجع فيهما ما يسميه " تيبور ظاهرة" تأحيد الفكر تبعا لتوحيد التكنولوجيا(لوترباخ، 1987 ، ص 391) . ضف إلى ذلك أن الاعتماد على الكومبيوتر كمصدر للمعلومات والتعلم، من شأنه أن يحول الفرد إلى غنيمة للأفكار التحيزية السيئة، وتغيب فيها الثقافة الموسوعية والتجربة الانسانية الواسعة؛.اللازمة لتثقيف الذكاء، إذ أن مكننة التعليم هي اشبه بتلك الروائز والاختبارات التي تقونن السلوك وتبرمجه ليس لها من نتيجة إلا انتاج الشخص التابع. وبناء عليه ينصح المربون, بتحديد سقف متواضع في التعامل مع المعلوماتية،

وأن لا يتجاوز في التعليم مثلا، أكثر من مساعد الذاكرة وإدارة للمعلومات ومعالجتها، ولا يجب أن تحل محل علاقة معلم/ تلميذ؛ ، ذلك أن التعليم ليس تدريبا على المنطقية لإنتاج جنود انقياديين أوحاديين في التفكير، بقدر ما يهدف إلى تأصيل إنسانية الإنسان بتربية الإرادة في المجهود الكلي الجماعي، بروح تعاونية وليس بكسل عقلي .(لوترباخ، 1987 ، ص 392).

- 4 .ونستوجي مشروعية الرقابة أيضا، من مرجعية حقوق الإنسان لا سيما في الوضعية الاستهلاكية، فالاستهلاك للإنتاج ضرورة حياتية، تستتبعه بالضرورة حقوق المستهلك على المستوى الفردي كزبون، له رغباته ومنافعه وأذواقه، وحقوق المجتمع في حماية ثقافته وهويته، في عالم تتحرك فيه الثوابت وتتشكل باستمرار. فتمدد آثار التكنولوجيا الرقمية في حياتنا الخاصة والثقافية طالت حتى أبجدياتنا في العبادة حال دخولنا في الصلاة الجماعية، فمما هو قد يكون مضحكا فقد وجد الإمام نفسه مضطرا لاستدخال بعض التغييرات في العبارات، حين التذكير برص الصفوف، فيقول (رصوا الصفوف، وسدوا الفرج وأغلقوا هواتفكم النقالة..) ولا نستبعد أن يأتي يوم ونجد أنفسنا في وضع تكنولوجي يعوض الإنسان جهده في الانتقال والممارسة الفعلية للعبادة، بما يمكن تسميته بالعبادة الافتراضية
- 5 .ونجد الرقابة أو الوقاية تفرض نفسها على تدفق المعلومات وانسيابها، عبر الوسائط الإلكترونية في عصر المعلوماتية؛ فهي وإن تعد قيمة إيجابية في حد ذاتها، إلا أنها تنطوي على مخاطر عندما تكون غزيرة ويصعب على الفرد مواجهتها بقدراته المعرفية الذاتية، إذ تثير إشكاليات تتعلق بالقدرة على الاستيعاب والتوجيه والتوظيف والاستثمار، كما تثير غزارة الأمطار رغم إيجابيتها مشاكل على الأرض كثيرا ما كانت أكبر من قدرة الإنسان فتحدث أضرارا . فكما سوغ الإنسان المعاصر لنفسه تخطيط الولادات ، فإنه من المفترض أن يسوغ لنفسه أيضا مراقبة وتخطيط تدفقات المعرفة الإلكترونية.إن هذه المبررات لمشروعية الرقابة، تقودنا إلى وضع التساؤلات الإجرائية التالية.

5- تساؤلات بيداغوجية في الوضع التكنولوجي المعلوماتي:

الأسئلة المألوفة والدائمة التي تثار عند الممارسات الفعلية لأنماط البيداغوجية، من مثل (ما هو التعلم، وكيف يحدث، وكيف نعلم، وماذا نعلم ...الخ) بقيت في الوضع التكنولوجي بدون أجوبة شافية . والتعلم الفردي الذي تنبني عليه فلسفة تكنولوجيا التعلم دونه تساؤلات، كالتدين الفردي والثراء الفردي، لا تتعدى منافعه إلى الشأن الاجتماعي العام، إلا يسيرا ما لم ينمو ضمن المعاني الرمزية الاجتماعية؛ إن لم يكن مجرد نزوات فردية. وقبل ذلك وكما سبق أن أشرنا أن الفردية وهم .

ومن جهة أخرى فقد أثارت تطبيقات تكنولوجيا المعلومات تساؤلات عدة، تتعلق بنتائجها البيداغوجية، فكما أن هناك دراسات تؤكد على أهمية وإجابية تقديم المعلومات بمدخل "السمعي البصري " مثلا وتفضيله على المدخل الصوتي الشفهي في التعلم عند تساوي شروط الكفاءة الذاتية للمتعلم والموضوعية البيئية؛ فإن هذه الدراسات أيضا تشير إلى محدودية المدخل السمعي البصري، حتى في حالة الدمج بينهما (الصورة/ الكلمة) بسبب ما تثيره الصورة من تعقيدات تعيق مبدأ التكامل بين النص أو الكلمة والصورة، وأن تعدد الفترات وتقديم المعلومات في أن واحد لا يؤدي إلا إلى مجرد فيض في المعلومات وبالتالي إلى إعاقة عملية التعلم ذاتها (كين سبنسر، 2002 ، صص160 .164).

وتثار أسئلة كذلك حول كفاءة الكومبيوتر، من حيث هو المرسل البديل وقدرته اللازمة على الاستجابة لكثافة الانبثاقات الوجدانية المتنوعة في الوضع البيداغوجي التفاعلي للمتلقي، وأن يلائم نفسه لحظة بلحظة في تغيير وتعديل من سقف حاجاته لحظة بلحظة، مع تطور اكتشافاته لإمكانات المتلقي التلميذ، وهل يتقبل الرسالة المنبثقة من المتلقي في لحظته بالرفض أو القبول كما يحدث عند الإنسان ؟. لقد تعلمنا مثلا من ثقافة الحداثة أنه لا يمكن تعويض الاتصال المباشر، بالاتصال غير المباشر في تحصيل النتائج وتسيير المؤسسة، وإدارة أعمالها وعمالها عن بعد، فوضعية التواصل عن بعد هي حالة استثنائية في أصلها، وهو

ما يجعلنا أمام صعوبة تقبل الاستغناء عن الاتصال المباشر بين المعلم والتلميذ،.فما يتعلمه التلميذ من إيماءات وحركات قد تفوق ما يتعلمه بالرسائل اللفظية عن بعد، أو عن طريق الصورة .

وفي مجال محاكاة الكومبيوتر لذكاء الإنسان، دونه تساؤلات عديدة، إذ أن مجاهيل الإنسان ما زالت كثيرة، ومعارفنا حول ذكائه ما زالت في مهدها، مما يجعل تحفظنا ضروري على كل مشروع يبرمج تعلم الإنسان برمجة نهائية؛ فالطاقات لا حدود لها عند الإنسان، كما هو الاكتشاف المتعلق بالذكاء المتعدد .(عاطفي، اجتماعي، أدائي تواصلي تكيفي ....الخ .

فالتكنولوجيا المعلوماتية إذن، وفق هذه المعطيات غير حيادية، دونها مخاطر، لاسيما وأنها تتبدى للدراسين كما لو أنها خطاب شمولي يدفع بقوة نحو الاستسلام لحتمية التكنولوجيا، وهو ما يشرعن للتحذير والرقابة، أو على الأقل الوقاية. وطرح السؤال من مثل: فهل يمكننا أن نتحكم في الرسائل التي ترسلها لنا الوسائط التكنولوجية ونتحكم فيها ونوجهها لصالح أجيالنا وأمتنا؟ .فكما يقال يمكن أن نتعثر في كثافة الآخر فينا

5-1- ضرورة تصميم برنامج وقائي من أضرار المعلوماتية:

أولا : وضع مشروع المعلوماتية في نطاق آجال الأعمال وآجالها : بداية نجد أنه يتعين علينا منهجيا، لدراسة موضوع تسويق المعلوماتية في كياننا الحضاري، وفي وجودنا المؤسساتي، أن نضع المسألة ضمن النطاق الزمني في محور آجل الأعمال وعاجلها، ونتفحص ذلك عند الغرب المرسل، وعندنا نحن المستهلكين، ذلك أن هذا النطاق.بحسب المرزوقي.هو المعيار الذي يوفر لنا تقويما فعليا لممارساتنا النظرية والعملية، ويحمينا من مساوئ الفصل بين النظر والعمل، وسوء تقدير العلاقة بينهما.(المرزوقي ، 2003، ص ص 37.34)حيث أن تسويق التكنولوجيا في راهننا الحاضر، تقتضي دراستها في نطاق العلاقة بين بعدي العمل آجله وعاجله، فالآجل من الأعمال في الوظيفة العقلية الادراكية شأن تصوري توقعي، أو تذكري يدخل في نطاق البحث النظري، حسب تعريف المرزوقي له، ومن وجهة نظر السيبرنيطيقية، هو الذي يوفر لنا الخيارات اللازمة للتخطيط الناجع، ومقتضيات تأهيل الفرد والمجتمع على تمثل واع لجهاز التحكم الذاتي، يعمل كجهاز مناعي، يحفظ الذات الفردية والهوية الاجتماعية من أي مساوئ محتملة للتجربة الوافدة، والعاجل من الأعمال.حسب المرزوقي.شأن يدخل في نطاق الإنجاز وحلول الأوان الحتمية للممارسة التي لا تقبل التأجيل وفي منظور السيبرنيطيقا هو الجانب من العمل الذي يهتم بتحسين التحكم الذاتي في البسئة الخارجية وانتقائها، فعند زيادة نفوذ سلطة العمل والإنجاز، بدل سلطة المعرفة والتحكم الذاتي في منظومة العمل بالعلم، يختل ميزان العمل،. نجد ذلك واضحا أكثر في فلسفة موت الأيديولوجيات وحتى موت الإنسان بتعبير جارودي وإقصاء للذات والإرادة،

وإذا أردنا أن نضع لهذه العلاقة توصيفا من منظور بيداغوجي تعلمي، فإننا ندرجها في سياق ما يعرف في البيداغوجيا بـ "التمثلات التي تعمل وظيفيا على "استباق ذهني للحاضر، قبل أن يوجد في الواقع " أو ما يعرف بتحيين ما ليس آنيا، (البيرات . ،2002 ، صص 23 . 29)وهو ما نعده هنا التكوين الأولي للمورد المعرفي النظري اللازم للعمل، وما يجعل العاجل في العمل آجلا، يستمد مشروعية ممارسته من المعرفة النظرية الاستباقية (المورد المعرفي المكون) بشكل يحقق توصيل الفعل الآجل بالعاجل ويغذيه، وفي طور العمليات الشكلية والتجريد وممارسة التفكير الفرضي الاستنتاجي. (كين سبنسر، 2002، صص 165 . 170) وهو التفكير الذي فقدناه منذ مدة كمجتمعات راشدة، بفقداننا للمبادرة العلمية، فلم نمارس التفكير الفرضي وتنشيط البحوث الافتراضية الاستباقية أو الاستشرافية، قبل أي مشروع عملي ضروري للإنجاز الآني. وهو الشرط اللازم الذي به يحقق العمل شرطه الإنساني، ويمارس الإنسان إنسانيته. ، فالغرب من حيث هو قيمة إجابية في إنتاج التقنية، قد صاحب إبداعاته في ذلك بتحذيرات، ترتب عنها إحاطة كل إبداع بأسئلة نقدية فلسفية، يرى من خلالها ملامح مستقبله واستشرافه، والتحذيرات من التكنولوجيا والآلات الذكية وخطرها على الإنسان، قد بدأت برؤية فلسفية، فمنذ الإعلان الفلسفي عن وحدة الإنسان وواحديته

في الوجود، أخذ العلماء يحذرون من وضعه المتردي تحت تأثير وطأة مطالب الحياة وفلسفة تحقيق الذات، حيث بدا الإنسان في الوضعية البنيوية فاقدا لتساميه وتعاليه عن التجربة الحسية، ويتخلى عن مواقعه القيادية في التجاوز والإبداع لصالح الكائنات الأخرى التي أوجدها وركبها (التقنية). وخضع لوضعية المأتة. ويصبح في حال فقدان حرية العمل والبعد النظري الاستشرافي أكثر خضوعا للعجلة والآنية، فيسقط في حيز المغامرة والعشوائية، ، وأعتقد أن أكثر التجليات لفقدان العمل لبعده النظري، هي ما هو عليه حال منظومتنا الحداثية الاستهلاكية، حيث تعمل التكنولوجيا كمعلم ضابط لسلوكنا وذواتنا وإيقاعات تفكيرنا، .(حرب، 1998، ص 134) فلم نعد نهتم بالبحث أو بضرورة الدراسات الاستشرافية، ونكتفي بما يحققه الغرب من إبداع لنلائم أنفسنا لاستهلاك كحتمية تكنولوجية لا خيار لنا حيالها، فكان للدراسات الاستشرافية مكانتها العلمية والاجتماعية والسياسية لتقرير مشروعية العمل وشرعيته في كل مشروع استشرافي مستقبلي. ومن هنا أرى من الضروري ما دمنا تابعين في الوضع الراهن أن نستبطن محاسن الغرب في ذاكرتنا ونعمل على إنتاج السؤال الفلسفي لأي إنجاز حتى نسقط على الأقل الاتهام بنظرية " المؤامرة" .ونبحث ذاتيا مشروع تسويق المعلوماتية في ذواتنا ونمارس حريتنا في الاختيار .

ثانيا: بناء خطة الإدماج التقني المعلوماتي : يكتفي الإصلاحيون عندنا عادة . عند كل رغبة في الإصلاح . باستيراد النماذج والتجارب ، كالبحوث الجارية الآن حول تكنولوجيا المعلومات وسبل إدماجها في التعليم، وفي حياتنا، للأسف لا تعدو أن تكون أشبه بالتقارير الإدارية الأيديولوجية، خالية من الرؤية النقدية؛ بل إنها في كثير من نماذجها الأمبيريقية في الجامعة، أقل قيمة علمية من تلك التقارير الصحفية .وهو ما يتطلب .في نظرنا .وضع خطة إصلاحية شاملة، تتكفل بها المؤسسات الجامعية البحثية، بعيدا عن التأثيرات الشخصية والأيديولوجية، وتبنى لها ثوابتها المانعة للتغيرات الفجائية والاختراقات .

فإذا ما حصل الاقتناع بضرورة وضع مسألة الإصلاح التربوي . وفق منظور تكنولوجيا المعلومات ، فإنه من المفترض على الأقل أن يتأسس بناء الخطة الإصلاحية في معياريتها على معطيات البحوث العلمية الأكاديمية، وما صح من العلم والمعرفة بالتجربة والعقلنة، وأن تتحدد خطواتها على تخطيط للإمكانات المتاحة، وفق سقف الأهداف المتوخاة، فالخطة الإصلاحية تنطلق من شروط الانتقال والتحول من الوضع، أو المرحلة التكنوقراطية (السياسة التربوية، التشريعات، الخطط،) إلى المرحلة التنفيذية والممارسة.أي أن الإصلاح التربوي بإدماج المعلوماتية يتضمن:

- تبني الإصلاح : في ضوء الشروط المجتمعية والأنساق القيمية والمعرفية بما في ذلك شروط التنمية الإنسانية، وما تقتضيه العوالم الافتراضية من دراسة.
- تخطيط الإصلاح: وضع السياسة التربوية في ضوء الإمكانات البشرية والمادية والمعلوماتية، وفق معايير الجودة وسقف الأهداف.
- تنفيذ الإصلاح: في ضوء شروط التأهيل العلمي التقني والوضعيات التعليمية التعلمية (المعلم البرنامج، الوسائل المجال ...الخ. (

وبهذه الخطة نكون قد وضعنا التفكير التربوي في آجل الأعمال بما يعني التفكير في إنتاج ما يمكن أن نسميه بـ"العقل الكلي الباحث " ويشرع في البحث في المسائل التالية المستعجلة:

أ. بحث ما يمكن أن نفتقده في تعميم الآلات الذكية في التعليم :

يعتقد أنه في وضع التعلم المبرمج وبالأحرى التعلم بالآلات الذكية يفقد الوضع البيداغوجي بعض سماته جزئيا أو كليا منها يفقد في الاتصال الإلكتروني، الاتصال المباشر بين المعلم والتلميذ، وما يحدثه من تفاعلات وتأثيرات عن طريق الرسائل المتبادلة بالألفاظ المصاحبة بالإيماءات، وهو ما ينشأ عنه نقص في فهم الرسائل التعلمية، وصعوبة الوصول إلى إنماء التآلف

والتعالق الاجتماعي لدى التلميذ، فضلا عن صعوبة الوصول إلى بناء حالات الوعي بالتسخير المتبادل، وهو الوعي الضروري لنمو العلاقات الاجتماعية المتآلفة الضرورية لكل تعلم .

يفقد شفافيته البيداغوجية، وتعني أن يكون كل واحد من المتفاعلين الشريكين شفافا لنفسه ولغيره شفافية كاملة، وهي علاقة تربوية لا ترقى إليها حركات التفاعل الاجتماعي في الوضع الافتراضي، حيث أن آلياتها تجري خارج نطاق الوجدانية العميقة، وما هو ملازم للعلاقة التربوية بين التلميذ والمعلم أو إحدى الشركاء في العلاقات الاجتماعية لمواجهة السلطة والهيمنة والإفلات من الرقابة التي يمارسانها تجاه بعضهم البعض . إذ ينشط ذكاء المناورات وبروز الأقنعة، وهو ما يتطلب وضع دراسة امكانية وضع النشاط التواصلي الالكتروني ضمن الأخلاق الانضباطية البيداغوجية لضبط ذكاء الحيلة من الانفلات الأخلاقي، كإخضاع الآخر والهيمنة والاستعباد، وضمان وتأمين حرية الآخر.

يفقد الوضع التربوي بعض معطيات علم النفس المعرفي كتنشيط فعالية الذكاء واستثمار تعدده، من أجل منع الاسترخاء العقلي، كما يفقد الاهتمام بالواقع الحسي، ومباشرة الأشياء وتعلم التجربة الحسية، وصناعة البيئة الواقعية ...الخ

يفقد الوضع التربوي بصفة عامة كثيرا سلطته في الضبط الأخلاقي والدمج في المجال، وتحيزه للخبرة الاجتماعية، وتعلم المعايير والأحكام والتمييز بين الأشياء، ويصعب تحقيق الانتماء ورسم معالم الهوية.

فهذه المفقودات جزئيا أو كليا يستوجب بحثها وإنتاج بدائل تعوضها .

5-2- بحث مشكلة الكائنات الافتراضية الجديدة :

ونقصد به البحث في ما يسميه بعض الباحثين بمجاهيل الفرد الإلكتروني والمجتمع الإلكتروني، والأمة الإلكترونية والحياة الإلكترونية أي تأسيس ما هو آخذ في التكون والإنشاء الآن لـ" علم النفس الفرد الإلكتروني وعلم الاجتماع الإلكتروني وأنثربولوجيا الإنسان الافتراضي، وعلم الاعلام الالكتروني ..الخ فهذه علوم يجب أن تدرج في آجل الأعمال وتأسيسها لمجابهة مشكلاتها ومتزامنة مع التطبيقات التربوية المدرسية العاجلة ..فما هو مؤكد اليوم هو أن الفردية الأنترنتية آخذة في التشكل، وأن العقل الجمعي الإلكتروني هو الآخر من حيث هو مساحة لتفاعل الذات الإلكترونية وأن المجتمع الافتراضي الإلكتروني يتشكل، وتنمو بشكل متواز لذلك كل الهويات (هوية الفرد الإلكتروني، هوية العقل الجمعي الإلكتروني . هوية المجتمع الإلكتروني) ومن المحتم علينا معرفة هذه الشخصية الإنسانية الواقعية الافتراضية؛ ووضعها موضع الدراسة المعمقة، ودراسة لأمنها وسلامتها فالفرد الأنترنتي بوجه عام كما يلاحظه الدارسون اليوم، هو شخصية افتراضية تتعامل مع فرد أو مجتمع افتراضي، يمارس بكل حرية التمثل والتحلل والترييف والانتقال والحركية والغموض، فهو يحيى في واقع مرقمن، يبدو أنه حتى في تفاصيله الدقيقة وحريته الشبه مطلقة في التحلل، سهل الاختراق وتدمير هويته، لأنه سيقع دون شك في قبضة الفاعلين وما ينطبق عن الفرد الأنترنتي ينطبق أيضا على الجماعة الإلكترونية (نبيل علي، 1990، ص 320).

5-3- البحث في الوقاية من مشكلة الاختراق :

وفي هذا البحث يتعين على مؤسسات البحث والنخب العربية، لاسيما في مجال تكنولوجيا المعلومات، التصدي منذ الآن لإشكالية ما خلصت إليها القمة العالمية لمجتمع المعلومات المنعقدة في جنيف (10.12 /12/2003) أو ما يعرف بجرائم السايبرية، كالسطو والخداع والاختراق والتدمير، وإنتاج ثقافة الأمن السيبراني في سياق التنمية الاجتماعية والاقتصادية، كصون الخصوصية والحماية من الاقتحامية الأنترناتية، وحماية الملكية الفكرية والهويات الثقافية...الخ (نبيل علي ، 1990 ، صص 232 .236) .

4-5- حماية المدرسة من اختراق الإدماج التكنولوجي المضر:

البرنامج الوقائي لا يخص المدرسة وحده، بل يخص منظومة العمل بالمعلوماتية في كل مناحي الحياة التنموية، ونخص هنا بالدراسة، المدرسة من حيث هي الوسيلة المعتمدة في تهيئة المجتمع والأجيال للدخول في مجتمعات المعرفة وإننا نخشى أن نكون قد وقعنا فعلا تحت تأثير أخلاقيات السوق ومفرداته، فنقبل بدون ترو على إدماج تكنولوجيا في التعليم قبل تفحص فوائدها ومنافعها كما يسوق المنتوج، ولا نستطيع بعدئذ أن نتفادى المخاطر التي ذكرناها؛ إذ نلاحظ الاستعمال غير المنهجي وبدون تقويم يذكر . من كل الفئات . للبريد الإلكتروني وشبكة الإنترنت واقتناء للأقراص المدمجة، والبرامج الجاهزة واستنساخها بسهولة ويسر دون تفحص بيداغوجي. ونخشى تكرار ما هو سائد في إصلاح الشأن التربوي في العالم العربي، حيث سيادة مقاربة الاختراق، من حيث هو إدماج انفعالي غير مدروس للمفردات البيداغوجية المرغوب استنباتها في الفضاء التربوي، كما يراد باستدخال وإدماج الآلات الذكية والحاسوب والأنترنت في التربية...الخ ويتأسس الاختراق عادة، ثم تعبئة المعلمين والإداريين وسن تشريع أولي لتعميمها، ولكن ما تلبث هذه المقاربة أن تفشل، بسبب غياب الشروط اللازمة للإدماج، وعليه يصبح التروي وعدم التأثر بمرحلة الدعوة والتبشير بتوظيف تكنولوجيا المعلوماتية، من أهم مراحل الإصلاح البيداغوجي، لما يهبه لنا من الاعتدال اللازم لتكوين الإطار النظري، وإنضاجه لوضع سياسة إدماج تكنولوجيا التعليم والوسائل المفتوحة (الكومبيوتر . الأنترنت . الشاشة ..الخ) لتصبح شريكا أساسيا تتعايش مع عناصر العملية التعليمية المغلقة (الكتاب . الصورة . النموذج) في وضع المدرسة التقليدية، بدون إزاحة للقديم أو ممانعة للجديد . فعلى الرغم مما تنبأ به "بنجامين سكينر " من أن التعلم بواسطة أجهزة التعلم سيضاعف قدرات التلميذ وتسارع الدول في سباق محموم منذ التسعينيات لربط المدارس بشبكة الأنترنت، (رجوان، 2005 ،صص 15 . 28) كانت تنبؤات يعوزها كثيرا من الدقة والحقيقة إن لم نقل مضللة سيما في مجال التربية على حرية العقل الانساني، وعليه وجب الفحص البيداغوجي، عند كل تطوير أو إدماج للوسيلة الإلكترونية ويستدعي إستحضار المحاذير في شكل تساؤلات عند كل تخطيط سياسة تربوية في التعليم اللاكتروني، كتساؤلات ذات علاقة بوضع المدرسة التقليدية في ضل الآلات الجديدة، وتساؤلات حول مكانة المعلم والعلاقات التواصلية البيداغوجية، وتساؤلات حول الانتفاع والنتائج المبشر بها سلفا في تنمية الذكاء وتحسين العملية التعليمية، وتساؤلات حول إمكانات الدولة وقدرتها على توفير هذه الآلات، بل والحصول عليها وتعميمها بالعدالة المطلوبة على كل أفراد الأمة، وتساؤلات حول أخلاق المجتمع وتأهيله ثقافيا لحماية هوية الأطفال، وتساؤلات حول الإغراق في العالم الافتراضي الذي يهدد تربية الحواس والاتصال بالعالم الفيزيائي . وتساؤلات كبرى حول السلطة الثقافية وسيطرة نمط ثقافي وتهميش الأنماط الأخرى.

5-5- البحث في حقوق الطفل وحمايته :

إننا نجد أنفسنا في الضبط المنهجي، قبل أي تفكير في تعميم التعلم بالحاسوب وإشاعة التعلم بالأنترنت ، أن نعمل في نطاق شروط حقوق الطفل في إنسانيته ونبحث بالتحليل:

وضعية التربية والتعليم عندنا في ضوء معايير الانتقال من التعليم إلى التعلم، ومن الاهتمام بالبيداغوجيا التقليدية المدرسية، إلى بحث مقتضيات تكيف الأجهزة العصبية البيولوجيا وتعقيدات المخ البشري، ومتغيرات الصحة في حال تعميم التعليم الإلكتروني .

المتعلم المستهدف من حيث قدراته الفيزيولوجية ومناعته الصحية واتجاهاته نحو الحاسوب، ودافعيته ومعارفه السابقة، وأوساطه الثقافية، ووضعه الاقتصادي والاجتماعي، أي بحث هويته الشخصية والرمزية وحاجاته للجودة التعليمية والمواكبة للعصر....الخ

ونحلل البيئة من حيث هي مظاهر فيزيقية، ومثيرات ومسخرات مطوعة، ومنظمة إداريا، ومدعمة للإدراك الذاتي، ومكان للعمل وقابلة للنمذجة الإلكترونية . أي بحث إمكانية التصنيع الافتراضي للبيئة، وإعدادها كمادة للتعلم، ونحلل موقع الأداء، من حيث ملاءمته لتكنولوجيا المعلومات.أي تصميم المجال المدرسي ليستجيب والتعلم الإلكتروني، وما يتطلبه من الانفتاح الهندسي، أو حتى في المجال القانوني والاجتماعي والوجداني

نحلل الأنشطة والمهارات التكنولوجية ومتطلبات مجتمع المعرفة كمهارات الاتصال ومهارات الميتامعرفي، ومهارات المعالجة المعرفية، وإدارة المعلومات، ومهارات العلاقات الوجدانية والاجتماعية، وعلاقة ذلك كله بتنشيط الذكاء وتحقيق الاستقلالية والحرية والتحكم في المثيرات وتعلم التنبؤ وتأويل الرسائل ونصوص الحياة .

5-6 بحث الاستفادة من التجارب التنموية المعلوماتية ضمن منظور التنمية الإنسانية:

يجب وضع المعلوماتية في التربية كانشغال، في سياق سؤال النهضة، وإخضاعه لعاجل الأعمال وآجلها كما أسلفنا، لنحمي أنفسنا من الوقوع في مطبات فلسفة اللذة الفردية والمتعة الآنية والشعرية الجمالية، . ومن أجل ذلك يجب الاهتمام بالتربية المقارنة وتنشيط بحوثها، فالواجب يحتم علينا استقراء تجارب ودراسات من سبقنا على تعميم تكنولوجيا التعليم وتحذيراتهم في ذلك،

ذلك هو أدنى مما نوجه به تفكيرنا، ويساعدنا على تأويل وتفسير التطور المعلوماتي، والانتقاء من ابداعات الآخر من الالات الالكترونية واستعمالاتها لانتاج ما هو افضل من صيغ الحياة العلائقية، وهو أدنى ما يمكننا من ممانعة ورفض الجوانب الضارة من الممارسة المعلوماتية، في سياق حريتنا في الاختيار الواعي، ويساعدنا على إدراك الشروط اللازمة لتعميم تكنولوجيا المعلومات التربوية، في سياق إدماج حقوق الطفل التعليمية، وضمان احترام إنسانيتة، حتى لا نزجه في حتميات، ونضعه موضع الحيوان ضمن التجربة الفيزيقية، ونلاحق بعد ذلك سراب الفردية أو الحرية الفردية.

6- الخاتمة:

والخلاصة العامة أمام هذه المعطيات السيكولوجية الفردية والجماعية، وأمام منظوماتنا الرمزية الثقافية، وأمام الباراديجم المعلوماتي المفروض عولميا، يتعين علينا أن نعي بأن المعلوماتية في زمن العولمة، هي محصلة تطورات الفردانية، وأنه يجب أن نعي ماذا يجب فعله تجاهها، وماذا يجب الامتناع عن فعله، وندرج المعلوماتية كما لو أنها مشكلة تتعلق بإدارة العمليات المعرفية الاجتماعية، ومن ثمة فهو يتطلب إبتداء تقرير عقد اجتماعي جديد، تربوي وإعلامي واقتصادي واجتماعي، يتحدد في ضوئه الحقوق الاجتماعية والفردية، وهو ما يضعنا في سكة البحث عن شروط تحقيق الذات الاستخلافية، وتكوينها عبر تعلم العلم النسبي المؤسساتي، في نطاق إلحاقه بالكلي المطلق،.وذلك أدنى ما نحمي به أنفسنا في تفتحنا الضروري على الهويات الأخرى، حتى لا تصبح الآلات الذكية في غفلة منا، طاحونة الذات الطبيعية، والهوية الاجتماعية، والمجال الحيوي، تتلف عناصر الهوية الرمزية، واحد تلو الآخر، لتبقينا أبدا في التبعية.

- قائمة المراجع:

أبو يعرب المرزوقي (2003) حسن حنفي . النظر والعمل والمأزق الحضاري العربي والإسلامي الراهن . ط1 .. دار الفكر المعاصر . دمشق .

أندرية بتروفيتش إركوف (1987) .العلوماتية مادة جديدة في التعليم الثانوي . في الاتحاد السوفياتي . مستقبليات 64 . مجلة التربية الفصلية . اليونسكو مجلد 17. ع . 4 . 1987 .

اينيت شونفلونج . (1997) العولمة تحد للتعلم الانساني . ت. محمد سعين الصبريني . الثقافة العالمية . ع 85 . 1997 . المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب . الكويت .

الحسين البيرات (2002) التمثل حفظ للماضي أم استباق لإدراك الحاضر . علوم التربية . ع. 22 . 2002 . المغرب .

خير الله عصار (بط). مدخل للسيبرنيطيقا الاجتماعية . محاولة التحكم بالسلوك الاجتماعي .

رولان لوترباخ . وكارل فري (1987) البرامج التربوية الجاهزة نتائجها وآفاقها المستقبلية . مستقبليات 63 . المجلد 17. 3 . 1987 . اليونسكو .

رينيه دوبو . (1984) . ت . نبيل صبحي الطويل . إنسانية ... الإنسان نقد علمي للحضارة المادية . ط2 . مؤسسة الرسالة . بيروت .

سعدون سلمان نجم الحلبوسي . (2002) . الفلسفة التربوية البيئية دراسة في تطور الفكر التربوي البيئ منذ التاريخ حتى الفكر الفلسفي المعاصر . ط 2002 دار الهدى

شعاع اليوسف . (2006) التقنيات الحديثة فوائد وأضرار دراسة للتأثيرات السلبية على صحة الفرد . كتاب الأمة . العدد: 112. ط1..وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قطر .

عاطف محمد .(2006) أشهر المخترعين والاختراعات العظيمة في تاريخ البشرية . ط1 . .دار اللطائف . القاهرة

عبد النبي رجوان(2005). التعليم في عصر المعلوماتية تجديدتربوي أم وهم تكنولوجي .ط الكتاب :46 . 2005 . منشورات الزمن . الدار البيضاء .

علي حرب . (1998) .الماهية والعلاقة .نحو منطق تحويلي . ط1 . المركز الثقافي العربي . الدار البيضاء.

علي محمد رحومة .(2005) الإنترنت والمنظومة التكنو ــ اجتماعية يحث تحليلي في الآلية التقنية الإنترنت ونمذجة منظومتها الاجتماعية . ط1 .. مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت .

كين سبنسر .ت . علي منصور . إسماعيل الرفاعي (2002) الأسس النفسية للتقنيات التربوية والوسائل التعليمية. ط1 .. مؤسسة الرسالة . بيروت .

لويس دومون(2006) مقالات في الفردانية . منظرو أنثروبولوجي للأيديولوجية الحديثة) ت. بدر الدين عردوكي . ط1 . مركز دراسات الوحدة العربية

المصطفى الخصاصي .(2001) قضايا ابستمولوجية وديداكتيكية في مادتي التاريخ والجغرافية . ط1 . دار الثقافة . الدار البيضاء .

موريس أبو ناصر . (1995) أفكار جديدة لعالم جديد فصول في سلطة المعرفة . ط1 . . المركز الثقافي العربي . الدار البيضاء .

نبيل بن علي . (1990) الثقافة العربية وعصر المعلومات . رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي . عالم المعرفة .265 . 1990. المجلس الوطني للثقافة والفنون . الكويت.